مناهج المجادلين المسلمين في نقد المسيحية

الدكتور
محمد محمد حسانين
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة ومقارنة الأديان

مقدمة

احتدم الصراع بين المسلمين والنصارى بعد فترة وجيزة من ظهور الإسلام ، فقد عاب القرآن الكريم عليهم تمسكهم بعقائد لا يقبلها العقل ، وترفضها الفطرة السليمة ، فيما يتعلق بالاولوهية ، أو بشخص عيسى عليه السلام ، ثم اندفع المسلمون فالتحموا معهم في صراع فكري جدلي حول هذين الموضوعين ، لا يزال ممتداً حتى اليوم ، وان بدَّل كثيراً من أسلحته وأساليب هجومه ودفاعه .

والدراسة التي نحن بصددها الآن تهدف إلى أمرين :

(١) : استعراض المناهج التي استخدمها المسلمون في جدلهم مع النصارى .

(٢) : تقييم لتلك المناهج وللنتائج التي توصلوا إليها .

غير أن الوصول إلى تلك الأهداف يستدعينا أن نبدأ ببيان أمرين هامين :

الأول : هو المصادر التي اعتمد عليها المسلمون في نقدهم للنصرانية .

الثاني : هو موقفهم من نصوص الأناجيل التي كانت موجودة في فترة احتدام الجدل .

المصادر

يظهر من كتابات المجادلين المسلمين الذين تصدوا لنقد النصرانية انهم ، وخصوصاً المتأخرين منهم ، قد طالعوا كتب العهدين القديم والجديد بأسرها ، لكنهم لم يعتمدوا اعتماداً مباشراً في جدلهم إلا على بعض النبوات في العهد القديم ، وعلى الأناجيل الأربعة من العهد الجديد . كذلك يظهر من كتاباتهم انهم استعانوا في فهم بعض نصوص العهدين ، أو ترجمة بعض الألفاظ فيهما أو تفسيرها ، على أقوال من اسلم من أهل الكتاب ، وعلى أقوال رؤساء ديانتهم ، إذ كثيراً ما نقرأ في كتاباتهم مثل هذه العبارات : « اخبرني من اسلم منهم » ، « قال لي أحد رؤسائهم » . . . . . . إلخ . بل لقد ساهم بعض هؤلاء الذين اسلموا منهم في الرد على من بقي منهم على دينه في كتب نذكر منها كتاب « دلائل النبوة » الذي ألفّه على بن ربن ، والذي كان نصرانياً ثم أسلم .

واقتصار المسلمين في جدلهم مع النصارى على الرجوع إلى الأناجيل الأربعة يعود في تقديرنا إلى عدة أسباب منها :

(١) : ان المسلمين كانوا ولا يزالون يعتبرون الأناجيل هى المصدر الرئيسي ، إن لم يكن الوحيد ، للدين المسيحي ، على غرار القرآن الكريم ، الذي يؤمنون بأنه المصدر الأول للدين الإسلامي ، فقصروا اعتمادهم على ما ورد فيها ، لتكون الحجج التي يستنبطونها منها دامغة ، لا سبيل إلى دحضها أو انكارها .

(٢) : ان صفة عيسى عليه السلام كانسان وكرسول تبدو واضحة في الأناجيل ، بينما تشيع في بقية كتب العهد الجديد عبارات ركيكة تؤكد كونه « ربا » و « ابنا » لله هبط إلى الأرض وصلب من أجل خلاص البشرية ، كقول بولس في رسالته إلى أهل رومية : « . . لأنه إن كنا ، ونحن أعداء ، قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ،

ونحن مصالحون ، نخلص بحياته ، وليس كذلك فقط ، بل نفتخر أيضاً بالله ، بربنا يسوع المسيح ، الذي نلنا به الآن المصالحة »[١] .

(٣) : يتكون جزء كبير من كتب العهد الجديد من رسائل بولس الذي يعتبره المسلمون المحرف الأول لدين المسيح الحقيقي ، والقائل بألوهيته ، فهم لا يعترفون بصفته « الرسولية » التي يضيفها اليه النصارى ، ويعتبرون أن رسائله وتعاليمه دخيلة لتزييف دين المسيح عليه السلام ، ومن ثم فهم يرفضونها جملة وتفصيلا . يقول ابن حزم : « وقال هذا النذال بولس أيضاً في بعض رسائله الخسيسة : اليهود يطلبون الآيات ، واليونانيون يطلبون الحكمة ونحن نشرع ان المسيح صلب ، وهذا القول عند اليهود فتنة ، وعند الأجناس جهل ونقص ، وعند المختتنين من اليهود واليونانيين ان المسيح علم الله وقدرته ، لأن ما كان جهلا عند الله هو أحكم ما يكون عند الناس ، وما هو ضعيف عند الله هو أقوى ما يمكن عند الناس ، قال أبو محمد : فهل في بيان قحة هذا النذل وسخريته بمن اتبعه وتحقيق ما تدعيه اليهود من أن أسلافهم دسوا هذا الرزل بولس لاضلال اتباع المسيح عليه السلام أكثر من هذا القول في ابطاله الآيات والحكم »[٢] .

(٤) : كان كثير من المسلمين ينظرون في الأناجيل بهدف واحد هو البحث عن البشارات التي تتضمنها والتي تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولما لم تكن بقية كتب العهد الجديد متضمنة لمثل تلك البشارات فقد اهملوا النظر فيها .

(٥) : ولا يفوتنا أن نذكر أن كتب العهد الجديد لم تكن مجموعة في مجلد واحد كما هو عليه الحال الآن ، بل كانت أجزاء متفرقة ، يحتوي كل جزء منها على بعض تلك الكتب ، وكان أكثر تلك الكتب شيوعاً هى الأناجيل ، دون غيرها من الرسائل لذلك اعتمد المسلمون على ما كان متيسراً لهم في الرد على النصارى .

---

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية ، الاصحاح الخامس ، عد : ١٠ ، ١١ .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، الجزء الثاني ، ص ٧١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، نسخة مصورة بالاوفست عن نسخة الخانجي ، ١٣٢١ هـ .

موقف المسلمين من نص الأناجيل :

ذكر القرآن الكريم أن أهل الكتاب قد حرفوا كتبهم ، كما ذكر كثيراً من أنواع التحريف جمعها ابن قيم الجوزية في كتابه « هداية الحيارى » فقد قال : « التحريف فقد اخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة ، وكذلك لَيُّ اللسان بالكتاب ليحْسَبُه السامع منه وما هومنه . فهذه خمسة أمور : أحدها لبس الحق بالباطل ، وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل . الثاني كتمان الحق الثالث اخفاؤه ، وهو قريب من كتمانه ، الرابع تحريف الكلم عن مواضعه ، وهو نوعان : تحريف لفظه ، وتحريف معناه . الخامس لىّ اللسان به ليلتبس على السامع اللفظ المنزل بغيره »[٣].

لذلك أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على وقوع التحريف في الكتاب المقدس ، لكنهم اختلفوا فيما وراء ذلك إلى عدة آراء ، يصل بعضها إلى حد المغالاة في الرفض أو القبول ، فمن هذه الآراء :

(١) : ذكر ابن تيمية في كتابه : « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » ان من الحنابلة من يذهب إلى رفع الثقة بكتب العهدين القديم والجديد من أولها إلى آخرها ، ويجردها من كل قيمة دينية ، ويغالي في رفع الثقة بها ، إلى حد قوله بجواز « الاستنجاء » بها[٤]. ولم يذكر ابن تيمية اسم الفرد أو الجماعة التي ذهبت إلى هذا الرأى من الحنابلة ، ولم يورد لهم أي دليل أو مستند في دعواهم . وعلى أية حال فإن هذا الرأى رأى شاذ . يخالف ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة . فقد قال الله تعالى في معرض الحديث . عن التوارة : « وكيف يحكمونك وعندهم التوارة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أؤلئك بالمؤمنين . انا انزلنا التوارة فيها هدى ونور ويحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء »[٥] فهاتان الآيتان تدلان على أن

(٣) هداية الحيارى ، بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ٣٥٥ .

(٤) الجزء الأول ص ٥٩ . (٥) المائدة / ٤٣ ، ٤٤ .

التوراة تتضمن حكم الله تعالى في بعض الأمور الخاصة بالاسرائيليين الذين لم يحتكموا إلينا .

كذلك قال الله تعالى ، فيما يتعلق بالانجيل : « وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون »[٦]. فهذه الآية صريحة في أن الانجيل يتضمن ما أنزل الله . كذلك ورد في الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم : « بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج »[٧]. فرفع الحرج عن التحديث عن بنى اسرائيل يدل على ما في بعض كتبهم من فائدة وهذا يتنافى مع ما نقله ابن تيمية عن بعض الحنابلة من رفع الثقة بها كلية ، بل واحتقارها إلى حد جواز الاستنجاء بها .

(٢) : ذكر ابن حزم ان بعض المسلمين يذهبون إلى القول بصحة نص التوارة والانجيل ، فقال : « وبلغنا عن قوم من المسلمين ينكرون ، بجهلهم القول بأن التوراة والانجيل اللذين بأيدي اليهود محرفان »[٨]. ولم يسمِّ ابن حزم هؤلاء القوم من المسلمين الذين ينكرون تحريف التوراة والانجيل وانما هاجمهم ، مبيناً انهم غير متضلعين في فهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأن ما ذهبوا إليه يفضى بهم إلى التناقض . يقول ابن حزم : « وانما حملهم على هذا قلة اهتبا لهم بنصوص القرآن والسنن ، فقد قال الله تعالى : يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون . . ونقول لمن قال من المسلمين ان نقلهم نقل تواتر يوجب العلم ، وتقوم به الحجة : لا شك في انهم لا يختلفون في ان ما نقلوه من ذلك عن موسى وعيسى عليهما السلام لا ذكر فيه لمحمد أصلا ، ولا انذار

---

(٦) المائدة / ٤٧ .
(٧) اخرجه أحمد والبخاري والترمذي عن ابن عمرو ، أنظر فيض القدير للمناوي ج ٢٠٦/٣ .
(٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

بنبوته ، فان صدقهم هؤلاء القائلون في بعض نقلهم فواجب أن يصدقوهم في سائره ، أحبوا أم كرهوا . . وان كذبوهم في بعض نقلهم وصدقوهم في بعض فقد تناقضوا وظهرت مكابرتهم . . . . وما ندري كيف يشتمل مسلم انكار تحريف التوراة والانجيل وهو يسمع كلام الله عز وجل : محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجودهم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وليس شيء من هذا فيما بأيدي اليهود والنصارى مما يدعون انه التوارة والانجيل »[9].

(٣) : هناك رأى ثالث تبناه ابن حزم وهو يتسم بالتوقف ، وان كان يعتمد على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وقد أوضح ابن حزم هذا الرأى بقوله « كان أهل الكتاب يقرئون التوراة بالعبرانية ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية فقال : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد . قال أبو محمد : وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين : ما نزل القرآن والسنة على النبي صلى الله عليه وسلم بتصديق صدقنا به وما نزل النص بتكذيبه أو ظهر كذبه كذبنا به ، وما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه وأمكن أن يكون حقاً أو كذباً لم نصدقهم ولم تكذبهم ، وقلنا ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقوله »[10] ويعلق البقاعي على حديث « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » بقوله ، نقلا عن الكرماني : « لقد امرنا ان نؤمن بالكتب المنزلة على جميع الانبياء ، وليس لدينا ما نستطيع به ان نميز الصحيح من الباطل فيما نقله مؤلفوها ، فنحن لا نصدقهم حتى لا نكون شركاءهم فيما حرفوه من هذا الكتب ،

---

(٩) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ١ ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .

(١٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ١ ، ٢١٦ ، ٢١٧ .

ولا نكذبهم ، لإمكان ان يكون ما نقلوه صحيحاً ، فنكون قد انكرنا ما امرنا بالإيمان به »[١١].

ورغم ما يبدو من سلبية هذا الرأى فإنه يمثل موقفاً علمياً سليماً ذلك انه في غيبة نص أصلي موثق للكتاب المقدس أو لبعض أجزائه فانه يصعب ، بل يستحيل ، تعيين ما يوافق الكتاب والسنة وما يخالفهما فيه على وجه الدقة .

(٤) : الاتجاه الرابع من اتجاهات المجادلين المسلمين يذهب إلى القول بان نص التوراة والانجيل محرف تحريفاً جزئياً . ويحدد أصحاب هذا الاتجاه مواضع عدم التحريف بانها تلك التي تتضمن البشارة بمحمد عليه السلام وبنبوته ، كما يحددون طرق معرفة تلك البشارات . يقول ابن قيم الجوزية ، وهو ممن يتجه هذا الاتجاه ، محدداً طرق معرفتها : « فالاخبار والبشارة بنبوته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة عرف من عدة طرق :

احدها : ما ذكرناه (من البشارات) ، وهو قليل من كثير ، وغيض من فيض .

الثاني : اخباره صلى الله عليه وسلم لهم انه مذكور عندهم ، وانهم وعدوا به وان الانبياء بشرت به ، واحتجاجه عليهم بذلك . ولو كان هذا لا وجود له البتة لكان مغرياً لهم بتكذيبه ، منفراً لاتباعه ، محتجاً على دعواه بما يشهد ببطلانها .

الثالث : ان هاتين الأمتين معترفون بان الكتب القديمة بشرت بنبى عظيم الشأن يخرج في آخر الزمان ، نعته كيت وكيت ، وهذا ما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى .

الرابع : اعتراف من اسلم منهم بذلك ، وانه صريح في كتبهم ، وعن المسلمين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات ، وتيقنوا صدقها وصحتها بشهادة المسلمين منهم ، مع تباين اعصارهم وامصارهم وكثرتهم ، واتفاقهم على لفظها ، وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب ، فيكف وهم مقرون بها لا يجحدونها وانما يغالطون في تاويلها »[١٢] ؟

---

(١١) الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة ، مخطوط بالمكتبة الأهلية . ورقة ١٨/وجه .
(١٢) هداية الحيارى ، مطبوع بهامش كتاب : الفارق بين المخلوق والخالق ، ذيل الفارق ، ص ٣٦ .

البشارات :

والواقع ان بعض علماء المسلمين لم يلجاوا إلى القول بالتحريف الجزئي للكتاب المقدس الا بناء على أخبار القرآن الكريم نفسه بوجود بشارات باسمه وصفته ونبوته في التوارة والانجيل الموجودة وقت نزول القرآن الكريم والتي بقيت إلى الآن ، ومعنى ذلك انهما يشتملان على جزء يسير غير محرف ، هو مواضع تلك البشارات ، فاعلنوا ان تلك المواضع غير محرفة ، واندفعوا يبحثون عنها .

١ ـ الايات الدالة على وجود صفته وصفة أصحابه في : التوارة والانجيل :

اجتهد المجادلون المسلمون ليعينوا مواضع تلك البشارات في العدين ، القديم والجديد ، وليحدوا فيها نظائر للآية التي أوردناها ، فكان منهم المكثر في تعيين تلك البشارات ، وكان منهم المقل . ومعظم ما ذكروه من بشارات موجود بصورة أو باخرى في المزامير وفي نبوة اشعيا ، ولم يجدون من تلك البشارات في التوراة(١٣) الا القليل، وكلها تحتاج لكى تنطبق على الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تأويل ، بل ان بعضها لا ينطبق عليه الا بتكلُّف ، على ما سنذكره ان شاء الله تعالى في تقييمنا لمجهود هؤلاء المجادلين .

فمن الفقرات الواردة في التوارة والتي يمكن ان تنطبق على صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصفة أصحابه ما ورد في سفر التثنية من قول الله تعالى لموسى عليه السلام فيما يزعمون : « اقيم لهم (لبنى اسرائيل) نبياً من وسط اخوتهم مثلك ، واجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما اوصيه به ، ويكون ان الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتلكم به باسمي انا طالبه »(١٤).ويذكر القرافي هذه البشارة ثم يعلق عليها بقوله : « ولم يخرج من اخوة بني اسرائيل أولاد اسماعيل غير سيد المرسلين ، ولم يات برسالة مستانفة غيره ، لا من بنى اسرائيل

(١٣) يطلق لفظ التوارة على الاسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ، وهى : سفر التكوين وسفر الخروج ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد ، وسفر التثنية .

(١٤) سفر التثنية : اصحاح ١٨ ، عد ١٨ ، ١٩ .

ولا من غيرهم[١٥]. ومن الفقرات التي أوردها من سفر اشعيا ، مما يمكن ان ينطبق عليه صلى الله عليه وسلم : « . . . . عبدي الذي يرضى نفسي اعطيه كلامي ، فيظهر في الأمم عدلى ، يوصيهم بالوصايا ، ويضحك ولا يصخب ، بفتح العيون العور ، ويسمع الاذان الصم ، ويحيى القلوب الميتة ، وما اعطيه لا اعطيه غيره »[١٦].

ومن الفقرات الواردة في الانجيل والتي قد تدل على صفه أصحابه عليه السلام ما ذكره مؤلف كتاب : اظهار الحق . من انجيل متى ، الاصحاح الثالث عشر ، عد : ٣١ : « قدم لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملكوت السموات حبة خردل ، أخذها انسان وزرعها في حقله ، وهي أصغر جميع البذور ، ولكن متى نمت فهى أكبر البقول ، وتصير شجرة ، حتى ان طيور السماء تأتى وتأوى فى اغصانها » .

ب ـ الايات على وجود اسمه في : التوراة والانجيل :

لم يرد في القرآن الكريم ما يدل على البشارة باسمه صلى الله عليه وسلم في التوارة أو في أي من نبوات الأنبياء السابقين على عيسى عليه السلام . لكن البشارة باسمه جاءت على لسان عيسى بن مريم في قوله تعالى : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم ، مصدقاً لما بين يدى من التوراة ، ومبشراً برسول ياتى من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين »[١٧].

لذلك اجتهد المجادلون المسلمون في البحث في كل من التوارة والانجيل عن أماكن وجود البشارة باسمه صلى الله عليه وسلم ، وذكروا وجود اسمه في عدة مواضع من العهد القديم ، منها ما ذكره القرافي في النص التالي : « افهمي ايتها الأمم . ان الرب اهاب من بعيد ، وذكر اسمي وانا في الرحم ، وجعل لساني كالسيف الصارم وانا في البطن . . . . وجعلني كالسيف

---

(١٥) الاجوبة الفاخرة ، ص ٢٣٧ .
(١٦) الاجوبة الفاخرة ، ص ٢٥٢ .
(١٧) سورة الصف / ٦ .

المختار من كنانته ، وخزنني لمسرة ، وقال لي انت عبدي ، فصرت محمداً عند الرب ، وبالهى حولي وقوتي » . وهو يعلق على هذا النص بعد ان ذكره بقوله : « وهذا الفصل العظيم فيه اشارات قوية جداً . . . ومنها ان اشعا صرح باسم محمد ولم يعجم ، فلا حاجة بعد هذا الاتضاح إلى مترجم »(١٨).

وهنا نص آخر ذكره ابن قيم الجوزية ، نورده لما له من اهمية في بحثنا نظراً لان ابن قيم الجوزية يذكر فيه مقابل اسم محمد في اللغة العبرانية ، كما يذكر المصدر الذي امده بهذا المقابل ، فهو يقول في كتابه هداية الحيارى(١٩) : « الوجه الثالث والعشرون قوله في كتاب اشعيا أيضاً : « عبدي وخيرتي ورضا نفسي ، افيض عليه من روحي ، أو قال : « انزل عليه من روحي ، فيظهر في الأمم عدلي ويوصى الأمم بالوصايات ، لا يضحك ولا يسمع صوته . يفتح عيون العمى العور ، ويسمع الاذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما اعطيه لا اعطي أحداً ، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى اللهو ، ولا يسمع في الأسواق صوته ، ركن للمتواضعين ، وهو نور الله الذي لا يطفى ، ولا يخصم حتى يثبت في الأرض حجتي وينقطع به المعذرة » . فمن وجد بهذا الوجه غير محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه . . . وقد ترجموه أيضاً بترجمة اخرى فيها بعض الزيادة . « عبدي ورسولي الذي سرت به نفسي ، أنزل عليه وحيي فيظهر في الأمم عدلي ويوصيهم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق يفتح العيون العور ، والاذان الصم ، ويحيي القلوب الغلف ، وما اعطيه لا اعطي احداً . يحمد الله حمداً جديداً ، يأتي به من أقطار الأرض ، ويفرح القرية وسكانها . . . لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى الهوى ، مشفح ، ولا يذل الصالحين . . . أثر سلطانه على كتفيه ، وهو مشفح ، بالشين المعجمة ، والفاء المشددة ، بوزن مكرم ، وهى لفظة عبرانية مطابقة لاسم محمد ولفظاً مقارباً ، كمطابقة موذ موذ ، بل أشد مطابقة . ولا يستريب عالم من علمائهم منصف انها مطابقة لاسم محمد ، قال

---

(١٨) الاجوبة الفاخرة ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(١٩) ص ٤٠٥ وما بعدها .

محمد ابن قيبة : مشفح محمد بغير شك ، واعتباره انهم يقولون شفحالاها ، إذا أرادوا ان يقولوا : الحمد الله وإذا كان الشفح حمداً ، فمشفح محمد بغير شك . وقد قال لى ولغيري بعض من أسلم من علمائهم ان (مئذ مئذ) ، وهو بكسر الميم والهمزة وبعضهم بفتح الميم ويدنيها من الضمة : ولا يشك العلماء منهم بانه محمد »[٢٠].

هذا بعض ما ذكره المجادلون المسلمون مما يدل على وجود البشارة باسم محمد صلى الله عليه وسلم في كتب العهد القديم ، وسنعلق عليه عند تقييمنا لمجهودهم ككل . اما ما جعلوه من البشارات باسمه صلى الله عليه وسلم من الاناجيل فهو ما وجدوه في الفقرات التي تشتمل على لفظ « الفار قليط » . فقد نبهوا على ان لفظ الفار قليط كلمة يونانية تعنى معنى من معانى الحمد ، ولما كان لفظ محمد أو أحمد ، مشتقا من الحمد ، فان كلمة فار قليط تكون مقابل اسمه في اليونانية ، فهى بالتالي مصداق قوله تعالى : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، قال ، ابن قيم الجوزية في بيان البشارة باسمه صلى الله عليه وسلم : « الوجه الخامس ما في الانجيل ان المسيح قال للحواريين : « . . . . ابن البشر ذاهب ، والفار قليط من بعده يجيىء لكم بالأسرار ، ويفسر لكم كل شيء ، وهو يشهد لي كما شهدت له ، فاني اجيئكم بالأمثال وهو يأتيكم بالتاويل » . قال ابو محمد بن قتيبة : وهذه الأشياء على اختلافها متقاربة[٢١]، انما اختلفت لان من نقلها عن المسيح - عليه السلام - في الانجيل من الحواريين عدة . والفار قليط بلغتهم لفظ من الفاظ الحمد ، إما أحمد أو « محمد » أو « محمود » ، أو « حامد » ونحو ذلك ، وهو في الانجيل الحبشي « برنعطيس »[٢٢].

(٥) : ما سبق كان رصداً لمواقف المجادلين المسلمين من نص الاناجيل في عصور الإسلام الزاهية ، نقصد الفترة الممتدة من بداية الإسلام وحتى نهاية القرن السابع . ثم جاءت عصور التقليد ، فلم يخرج الوضع عما كان عليه ، وبقيت الاتجاهات

---

(٢٠) هداية الحيارى ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٢١) يقصد الفقرات المتعددة في الأناجيل ، والتي جاء فيها ذكر الفار قليط والبشارة به .

(٢٢) هداية الحيارى ، ص ٣٦٦ .

الثلاثة : الرفض الكامل لنصوص الاناجيل ، والقبول الجدلي لها ، والقبول الجزئي لبعض فقراتها ، حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، فتغير الموقف قليلا وظهرت ابحاث اخرى ، بسبب اتصال المسلمين بأوروبا واطلاعهم على كثير من الأثار العلمية لعصر التنوير في مجال الدراسات النقدية للكتاب المقدس ، وظهور علم مقارنة الاديان وازهاره .

لقد ظهرت في مجال تلك الدراسات النقدية اتجاهات ونظريـات متعددة ، بعضهـا متطرف ، كتلك التي تدعى ان المسيح عليه السلام شخصية اسطورية ، وان المسيحية برمتها قائمة على مجموعة من الأساطير ، وبنت وجهة نظرها على غرابة نشاة المسيحية ، إذ انها قد قامت على عقائد : ميلاد عيسى من غير أب ، وكلامه في المهد ، واتيانه بمعجرات ذات طابع خاص مثل احيائه الموتى ، وصلبه ثم قيامته من الأموات ، والتثليث ، والخطيئة الأصلية ، هذا فضلا عن صمت التاريخ المطبق ازاء شخصية عيسى عليه السلام وانتشار كثير من الأساطير المتضمنة للموت ثم البعث وكذلك الفداء في البيئة التي نشأ فيها المسيح ، غير ان ذلك النظرية لم تحظ بالاعتبار لوجود آثار لدعوة عيسى وان شابها بعض الأساطير ، ولاستحالة ان يقوم دين وينتشر ، ويبقى ، ويحكم توجه كثير من المجتمعات ويكون قائماً برمته على اسطورة أو مجموعة من الأساطير .

وازاء تلك النظرية قامت نظريات اخرى تفسر قيام المسيحية ، منها تلك التي قال بها رنان Renan في كتابه المشهور « حياة المسيح »(٢٣)، والتي تفسر وجود المسيح ورسالته على انها دعوة إلى عبادة الاله ـ الأب ـ في مقابلة رسالة موسى القائمة على عبادة الاله العادل ، أو انها دعوة إلى عبادة الاله ـ الكلمة .

ومهما يكن من أمر تلك النظرية أو غيرها من تلك النظريات التي لا « تتطرف » في تفسير ظهور المسيحية ، فانها تجمع على عدة أمور ، منها :

---

(٢٣) Renan : La vie de J´esus, 36 iem e`dit , : Paris 1956 .

(١) : ان تحريف كتب المسيحية بالزيادة والنقصان أمر مفروغ منه ، اثبتته الدراسات النقدية ، لغوية ، واجتماعية ، وتاريخية ، فلا ينازع فيه الآن أحد ، داخل المؤسسة الدينية المسيحية أو خارجها .

(٢) : ان هناك فرقاً بين الاناجيل الثلاثة الأول (انجيل متى ، وانجيل مرقص ، وانجيل لوقا) والانجيل الرابع ، وهو انجيل يوحنا ، الذي يقوم على فكرة الله ـ الكلمة التي قال بها فيلون الاسكندراني .

(٣) : ان الاناجيل ، حتى بوضعها الحالى ، لا يمكن ان تكون مصدراً كافياً للقول بالوهية المسيح عليه السلام .

(٤) : ان عيسى عليه السلام هو ابن يوسف النجار من مريم البتول في نظر أصحاب تلك النظريات .

(٥) : ان حادثة الصلب قد وقعت لعيسى عليه السلام وانه مات على الصليب .

(٦) : ان المسيحية الحالية من صنع الأجيال اللاحقة لعيسى عليه السلام ، وانه قد ساهم في بنائها كل من :

أ ـ القديس بوليس .

ب ـ المجامع المقدسة .

جـ ـ الكنيسة واباؤها .

د ـ الأفكار الفلسفية والأساطير التي كانت تعج بها منطقة شرقي البحر المتوسط ، أو بحر الروم ، وقت ظهور المسيح .

ولقد استفاد المسلمون المعنيون بنقد المسيحية من تلك الدراسات وتأثروا بها . اما انهم استفادوا منها ، فلانهم قد أثلج صدورهم ان راوا كثيراً من أشهر علماء المسيحيين يصلون بابحاثهم إلى النتائج التى ان صادم بعضها مواقف المسلمين من السيد المسيح ، فان بعضها الآخر يتطابق معها ويؤكدها ، فاندفعوا يضيفون إلى حججهم الخاصة ما جاء به هؤلاء العلماء الغربيون من حجج قائمة على مناهج البحث الحديث في الاستنباط . والمطلع على ما كتبه كل

من رحمه الله الهندي في كتابه « اظهار الحق » ، والباجة حى زاده في كتابه « الفارق بين الخلق والخالق » في مطلع هذا القرن ، أو ما كتبه بعدهما بقليل المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ، في كتابه « قصص الأنبياء » يجد مصداق ما ذهبنا إليه .

المسائل التي ثار حولها الجدل :

ثار الجدل الإسلامي - المسيحي حول عدة مسائل يمكن عرضها فيما يلي :

(١) تحريف الاناجيل .

(٢) دعوى الوهية المسيح عليه السلام .

(٣) دعوى بنوته لله تعالى .

(٤) عقيدة الصلب والفداء .

(٥) دعوى الاتحاد الاقنوتي .

(٦) فرق المسيحية .

(٧) اثبات نبوة عيسى عليه السلام .

(٨) اثبات بنوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(٩) المجامع المقدسة .

(١٠) مخاريق القسس والرهبان .

تلك هى القضايا التي ثار حولها الجدل بين المسلمين والمسيحيين . ونود ان ننبه إلى ان المجادلين المسلمين القدامي ، كالقاسم بن ابراهيم الحسيني ، والجاحظ ، وامام الحرمين الجويني لم يتناولوها جميعها في الكتب التي الفوها في الرد على النصارى ، بل اختار كل منهم من

تلك القضايا ما يرى انه الأهم ، والذي تنبنى عليه بقية المسائل ، ثم قام بتفنيده والرد عليه . ولم تصبح بأسرها موضوعاً لكتابات المجادلين المسلمين ، الا ابتداء من القـر السادس الهجري ، بعد ان تعمقت دراسة المسلمين لكتب أهل الكتاب ، واستفاد المتاخرون منهم من جهود من تقدمهم .

مناهج الجدل :

(١) : المنهج التفسيرى :

يقوم هذا المنهج على افتراض صحة الاناجيل ، ثم البحث فيها عن العبارات التي توهم الوهية المسيح وتفسيرها تفسيراً يخرجها عن معناها الحرفي ، ثم مقابلتها بعبارات والفاظ أخرى من الأناجيل ذاتها تدل على انسانيته ورسالته لتنهار دعواهم في الوهية المسيح ، وبانهيارها تنهار بقية الدعاوى المسيحية في الاتحاد الاقنومي ، وفي دعوى القتل والصلب وعقيدة الفداء ، كما ينهار الأساس الذي تقوم عليه الفرق المسيحية .

وقد استهوى هذا المنهج لسهولته وخطورته في نفس الوقت عدداً لا باس به من المجادلين المسلمين نذكر منهم على سبيل المثال القاسم بن ابراهيم الحسيني[٢٤]

ويعتبر أبو حامد الغزالي ، فارس هذا الميدان ، بما قدمه في كتابه : « الرد الجميل الالهية عيسى بصريح الانجيل » من جهد مبتكر ، إذ لما كان التفسير الذي يقوم عليه المنهج امراً « مطاطاً » وشخصياً إلى حد بعيد ، وهو ، لذلك ، لا تقوم به حجة ملزمة ، فقد عمد الغزالي إلى وضع قاعتدتين لا ينبغي للفسير في هذا المقام ان يتعداهما ، ليكون عاماً يمكن تطبيقه على جميع النصوص ، وهاتان القاعدتان هما :

(١) : ان النصوص موضع التفسير يجب ان تحمل على ظاهرها ، وتؤخذ بمعناها الحرفي إذا كان هذا الظاهر لا يصادم العقل . اما إذا كان مصادماً للعقل فانه يجب اللجوء إلى تناويلها ، للاقتناع حينئذ بان ظاهرها غير مراد[٢٥]

(٢) : ان الدلائل إذا تعارضت ، فدل بعضها على اثبات حكم وبعضها على نفية فلا نتركها متعارضة الا إذا أحسسنا من انفسنا العجز ، لاستحالة امكان الجمع بينها ، وامتناع جمعها متضافرة مرة واحدة[٢٦]

---

(٢٤) أنظر رسالته : الرد على النصارى ، نشره مع ترجمة إلى اللغة الايطالية عام ١٩٢٢ م . . Ign. di .Matt´eo .

(٢٥) الرد الجميل ، ص ٨ .

(٢٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ثم يستعرض الغزالي بناء على هذه القاعدة ، ما في الأناجيل ، وخصوصاً انجيل يوحنا ، من الفاظ وعبارات دالة على انسانية عيسى ، مثل العبارات التي تدل على تصرفه الإنساني ، من السعى والأكل والشرب وغير ذلك ، والعبارات التي يصرح فيها بانه انسان ، ويقول انها هى المرادة للمسيح ، وهى دالة على حقيقة امره ، ثم يتبع ذلك بالعبارات والألفاظ الموهمة لالوهيته ، مثل عبارات « ابن » ، « بنوة » ، « حلول » ، « الأب » ، « الابوة » ، « الكلمة » ، ويعمد إلى إلى تفسيرها تفسيراً مجازياً ، يثبت به ان ظاهرها غير مراد ، لان العقل يحيل ارادة ظاهرها من جهة ، ولانها تتعارض مع الألفاظ والعبارات الاخرى الدالة على انسانيته من جهة أخرى . وسنذكر مثالين من النصوص التي أوردها الغزالي يوضحان طبيعة هذا المنهج وجدواه .

النص الأول :

« فاما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن الا الأب وحده » .

يفسر رجال اللاهوت المسيحي هذا النص على النحو الآتي : « ان احداً لا يعرف يوم القيامة ولا ساعتها ولا يعرف الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الأب وحده » ، أي ان الله تعالى قد خص نفسه بمعرفة كل تلك الأشياء ومنها حقيقة الابن ، لانه اله ، فلا يعرف حقيقته الا الاله الاب : ويرى الغزالي ان هذا التفسير مخالف للظاهر ، إذ الظاهر المتبادر من العبارة والسياق هو ان معرفة يوم القيامة وساعتها لا يعرفها أحد ، حتى ملائكة السماء وحتى الابن ، وانما يعرفها الله وحده ، وهذا يدل على انسانية عيسى عليه السلام ورسالته ، إذ لو كان الها لما خفى عنه يوم قيام الساعة ، ولا لحظتها ، فيكون النص المذكور دليلا من الانجيل نفسه على انسانيته ، يقول الغزالي : « صرح في هذا النص بالانسانية المحضة ، نافياً عنه العلم المختص بالاله ، وهذا من أوضح الادلة على انسانيته المحضة . ومن هذيانهم حملهم هذا النص على ان الملائكة والابن كل منهما معطوف على ضمير الساعة ، ويكون تقدير

الهذيان : فاما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها ولا الملائكة ولا الابن احد الا الاب وحده ، فاعجب من هذه العقول ، كيف فاتها ان صفات الاله إذا لم تثبت بالبراهين اليقينية ، فلا اقل من كونها ظاهرة الدلالة ، وأنظر كم من بعد في هذا التاويل الذي ينبو عنه السمع وكم خولف فيه من ظاهر »(٢٧)

النص الثاني :

« لو كنتم بنى ابراهيم كنتم تعملون أعمال ابراهيم ، لكنكم الآن تريدون قتلي ، انسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله .. فان لي كلاماً كثيراً أقوله فيكم وأحكم به . ولكن الذي ارسلني حق ، والذي سمعته منه به اتكلم في العالم .. لاني لم اتكلم بها من نفسي ، لان الاب الذي ارسلني هو اعطاني الوصية بماذا أقول وبماذا أنطلق وأعلم ان وصيته حياة الأبد ، والذي أقوله انا كما أمرني الاب كذلك أتكلم »(٢٨)

وفي هذا النص تصريح بانسانية عيسى عليه السلام ورسالته وامتثاله لأوامر الله سبحانه وتعالى فلا يقول الا ما أمر بقوله ، وهذا ينافي اعتباره الها لان الاله لا يدعى انه إنسان أو رسول ، كما انه من غير المتصور ان يمتثل لأوامر أحد . يقول الغزالي معلقاً على هذا النص بعد ايراده : « صرح في هذا النص بالانسانية بقول : انسان كلمتكم بالحق الذي سمعته من الله ، وبقوله : كما أمرني الاب كذلك اتكلم . وقد صرح بولس الرسول برسالته المحضة في رسالته التي كتبها للعبرانيين ، فقال : « أنظروا إلى هذا الرسول ، عظيم أحبار ايماننا يسوع المسيح ، المؤتمن عند مرسله ، وهو مثل موسى في جميع بيته »(٢٩) صرح بانه من جملة احبارهم ، وصرح بان له مرسلا ، وانه مؤتمن عنده ، ثم جعله مثل موسى في جميع بيته ، ويريد ببيته الطوائف الذي ارسل اليهم ، يدل على ذلك قوله في بقية الكلام في وصف عيسى عليه السلام : « وانما بيته نحن معاشر المؤمنين » . وإذا ثبت ان المراد بجميع بيته أمته ، كان

---

(٢٧) الرد الجميل ، ص ٢٠ .
(٢٨) انجيل يوحنا ، الاصحاح ١٢ ، عد : ٣٦ ـ ٥٠ .
(٢٩) رسالة إلى العبرانيين ، الاصحاح ٣ ، عد ١ : ٢ .

معنى الكلام : وهو مثل موسى في أمته ، وهذا تصريح بالرسالة المحضة »[٣٠]

يذكر المجادلون المسلمون من انصار المنهج التفسيري أمثال تلك النصوص التي تدل صراحة على انسانية عيسى عليه السلام ، ثم يتبعونها بنصوص اخرى يدل ظاهرها على الهيته ، كما اسلفنا ويفسرونها بما يخرجها عن معناها الحرفي ، كما فعل الغزالي الذي نورد أحد النصوص التي ذكرها في هذا الصدد .

قال المسيح :

« انا والاب واحد ، فتناول اليهود حجارة ليرجموه ، فاجابهم قائلا : اريتكم أعمالا كثيرة حسنة من عند ابي ومن أجل أي الأعمال ترجموني ؟ فأجابه اليهود قائلين : ليس من أجل الأعمال الحسنة نرجمك ، ولكن لأجل التجديف ، إذ انت انسان تجعل نفسك الها . فاجابهم يسوع : اليس مكتوباً في ناموسكم اني قلت : وانكم الهه . فان كان قد قال لأولئك الهه لأن الكمة صارت اليهم ، وليس يمكن ان ينتقض المكتوب ، فكم احرى الذي قدسه الاب وارسله إلى العالم »[٣١]

وحد المسيح عليه السلام بينه وبين الاله بقوله : « انا والاب واحد » مما يوهم الوهيته ، ومما جعل المسيحيين يتشبثون بانه اله ، استناداً على تلك العبارة وأمثالها ، لكن النص بسياقه لا يدل على ذلك ، بل ينفيه ، لان اليهود ما كادوا يسمعون منه ذلك حتى هاجوا عليه وحاولوا رجمه ، ولو كان الها لما استطاعوا ذلك . كذلك فانه اجابهم بانه لا يريد المعنى الحرفي للعبارة ، بل يريد معناها المجازي وهو شدة قربه من الله لاتباعه أوامره حتى صارت له من الله معونة بها يقدر على مالا يقدر عليه غيره . وقد عبر الغزالي عن ذلك بقوله : « هذا النص بالغ في تحصيل غرضنا الذي نحاوله في مسألة الاتحاد . وبيانه ان اليهود لما انكروا عليه قوله : « انا

---

(٣٠) الرد الجميل ، ص ٢٤ .

(٣١) انجيل يوحنا ، الاصحاح ١٠ ، عد ٣٠ ـ ٣٦ .

والاب واحد » وهذه مسألة الاتحاد نفسها ظانين ، انه أراد بقوله « انا والاب واحد » مفهومه الظاهر ، فيكون الها حقيقة انفصل عليه السلام عن افكارهم ، مصرحاً بان ذلك من قبيل المجاز . ثم ابان لهم جهة التجوز بضربه لهم المثل فقال : « وقد اطلق عليكم في ناموسكم انكم الهة ، ولستم الهة حقيقة ، وانما اطلق عليكم هذا اللفظ لمعنى ، وهو صيرورة الكلمة اليكم ، وقد شاركتكم في ذلك » . وقد ورد مثل ذلك في شريعتنا ، فقال سيد المرسلين « محمد » صلى الله عليه وسلم : « ولن يتقرب إلى المتقربون بأفضل من اداء ما افترضت عليهم . ثم لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطلق به ، ويده التي يبطش بها . ومحال ان يكون الخالق حالا في كل جارحة من هذه الجوارح ، أو يكون عبارة عنها . . . . فان قيل : انما ضرب لهم المثل مغالطة ليدفع عن نفسه ما يحذره من شرهم ، قلنا : الخوف من اليهود لا يليق بمن يدعى فيه انه اله العالم وموجد الكائنات»(٣٢).

هذا مثال للمنهج التفسيري الذي لجأ اليه بعض المجادلين المسلمين للاستدلال على أن عبارات الأناجيل التي يستند إليها المسيحيون للاستدلال على الوهية عيسى لا تساعدهم فيما ذهبوا إليه .

٢ ـ منهج المحدثين :

يقوم منهج المحدثين في نقد الأناجيل على نفس الأسس التي ارتضاها علماء الحديث ، لتوثيق أو تضعيف الأحاديث المروية عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حيث مراعاة قواعد الجرح والتعديل ، ومن حيث عدد الرواة في كل طبقة أو حلقة من حلقات الاسناد ومن حيث قواعد الجمع بين الأحاديث التي تبدوا متخالفة أو متعارضة في ألفاظها أو معناها .

وقد استخدم هذا المنهج كثير من المجادلين المسلمين لوضع نص الأناجيل من أوله إلى آخره موضع الشك ، عن طريق رفع الثقة برواته ، اما لأن عددهم في البداية كان قليلا لا يبلغ حد

---

(٣٢) الرد الجميل ، ص ١٠ ، ١١ .

التواتر اللازم لبناء الثقة بمضمونه ، واما لأن النقلة لم يكونوا عدداً لا يؤمن تواطؤهم على الكذب ، واما للأمرين جميعاً . كذلك اجتهد المجادلون المسلمون في ابراز ما يرونه تناقضاً ظاهراً بين ألفاظ الأناجيل أو بين معاني بعض فقراتها ، وهو ما يخرجها عن أن تكون كتباً موحاة من الله ، إذ لو كانت موحاة منه تعالى لما وجد بينها هذا الاختلاف الكبير . فنقد المسلمين للأناجيل كان يتجه لرواتها ولالفاظها ومعانيها فلنتعرف على مجهودهم في هذا الصدد :

(١) : نقد الرواة :

يلاحظ المجادلون المسلون - أولا - ان كتبة الأناجيل لم يحرروها في حياة عيسى عليه السلام الأرضية ، وانما حرروها بعد رفعه بزمن يمكن أن يتطرق خلاله النسيان إلى ذاكرتهم . ورغم أنه لم يصل أحد من الباحثين في تاريخ المسيحية إلى تحديد زمن كتابة كل انجيل تحديداً دقيقاً ، فقد ذكر ابن جزم ، نقلا عن ابن البطريق فيما يبدو ، أن المسيحيين مجمعون على أن الانجيل الأول قد ألفه « متى » بعد رفع المسيح عليه السلام بتسع سنين ، وكتبه باللغة العبرانية ، وان انجيل « لوقا » قد كتبه « لوقا » باللغة اليونانية بعد انجيل مرقص بزمن يسير ، وان انجيل « يوحنا » قد كتبه « يوحنا » باليونانية بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة (٣٣)

وهم يلاحظون - ثانياً - أن جميع اتباع المسيح عليه السلام لم يزيدوا في حياته عن مائة وعشرين رجلا ، وأنهم كانوا مستترين بدينهم ، يدعون إليه سراً ، وكانوا مطاردين ، يقتل كل من يظهر منهم ، وبذلك لا يمكن أن يجتمعوا ، أو يجتمع عدد كبير منهم في مكان واحد ، وانهم ظلوا على تلك الحال قرابة ثلاثمائة سنة ، لذلك قل عدد نقلة الانجيل في الطبقة الأولى والثانية .

يقول ابن حزم : « فجميع نقل النصارى من أوله إلى آخره حيث كانوا فهو راجع إلى الثلاثة الذين سميناهم فقط ، وهم : باطرة (بطرس) ومتى ، ويوحنا ، ويعقوب ويهوذا ، ولا مزيد »(٣٤). فضعف الحلقين الأولى والثانية من سلسلة الرواة يضعف الراوية ، ويضعف ،

---

(٣٣) راجع الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٢ ، ص ٣ .
(٣٤) الفصل في الملل والأهواء ، ج ٢ ، ص ٤ .

إن لم يمنع ، الاعتماد على المروى في بناء العقائد . هذا كله فضلا عن انخرام شطرين أساسيين في الرواة ، وهما : المعاصرة واللقىّ ، فبولس ، وهو من أعظم شخصيات الجيل الثاني ، لم يعش مع الحواريين الذين رأوا عيسى عليه السلام مدة تمكنه من النقل عنهم[٣٥].

وهكذا يكون قد سلم للمسلمين مدعاهم من تضعيف سلسلة راوية الأناجيل ، وبالتالي رفع الثقة بنصها . ولكي يؤكدوا تلك النتيجة فقد عمدوا إلى نقد نص الأناجيل نفسه .

(٢) : نقد النص :

نعني بنقد المسلمين لنص الأناجيل ما ذكروه من تناقض بين عباراتها وتضارب بينها ، مما يستتبع التضارب والتناقض بين معانيها . وهم في ذلك مختلفون ما بين مكثر لذكر مواضع التناقض ومقل ، يكتفي بذكر ما يؤدي إلى اثبات التناقض دون استرسال في ذكر مواضعه . وقد ركز معظمهم على مواضع معينة من الأناجيل تتعلق اما بنسب السيد المسيح عليه السلام ، أو بطبيعة رسالته ، أو بحادثة الصلب .

فمن تناقض الأناجيل فيما يتعلق بالنسب ما ذكره يوحنا من أن ما بين يوسف النجار خطيب مريم عليها السلام إلى ابراهيم عليه السلام اثنتان وأربعون ولادة ، وهو يتناقض مع ما ذكره لوقا من أن بينهما أربعا وخمسين ولادة[٣٦]. وقد ذكر الباجه جى ، ستة وجوه للاختلاف في نسب المسيح بين ما ذكر في انجيل متى وانجيل لوقا[٣٧]. هذا فضلا عما أجمع عليه المجادلون المسلمون من أن نسب يوسف النجار لا علاقة بينه وبين نسب المسيح عليه السلام الذي ولد من غير أب .

ومن تناقض الأناجيل ، فيما يتعلق بطبيعة رسالته عليه السلام ، ما ذكره القرافي بقوله :

---

(٣٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٣٦) الاجوبة الفاخرة ، ص ٣٠ .

(٣٧) الفارق بين المخلوق والخالق ، ص ٢٤ .

« التناقض العاشر : قال لوقا : ان بن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ، بل لينجي . وقال الباقون : ان ابن الإنسان لم يأت ليقي على الأرض سلامة ولكن سيفاً ويضرم فيها ناراً . وهذا كلام تبرأ التلاميذ عنه ، لأن الأول جعله رحمة للعالمين ، والآخرون[٣٨] جعلوه نقمة عليهم[٣٩].

فضعف سلسلة الرواة من جهة ، وتناقض الأناجيل فيما بينها من جهة أخرى ، أمران كافيان في نظر المجادلين المسلمين لرفع الثقة بالنص الانجيلي كلية ، وجعل الحكم في حقيقة أمر عيسى عليه السلام منوط بكتاب سماوي آخر ، ثبتت صحته بطريق نقل الكافة ولا تناقض بين آياته ، هو القرآن الكريم الذي لا يأيته الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

٢ ـ المنهج العقلي :

يقوم هذا المنهج على أساس « لا معقولية » عقائد النصارى في التجسد والتثليث والأقانيم والخطيئة والصلب والفداء ، وقرارات مجامع المسيحيين المقدسة ، واراء فرق النصارى الشرقية الثلاث في طبيعة المسيح وحقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت . ورواد هذا المنهج هم قدامى المعتزلة ، لأنهم يميلون بطبيعتهم وبحكم اتجاهم الفكري إلى تحكيم العقل في أمور الدين ، لأنهم يكرهون المحدثين فقد وصفهم النظام بقوله :

زوامل للأسفار لاعلم عندهم بما تحتوى إلا كعلم الأباعر

كما أنه كان يرى أن حجية العقل تنسخ الأحاديث[٤٠].

وكما كان المعتزلة يكرهون المحدثين كذلك كانوا يكرهون منهج المفسرين في النظر إلى الفقرات الموهمة في الأناجيل وتأويلها بما يخرجها عن معناها الحرفي كما أسلفنا ، فقد قال

---

(٣٨) يقصد بقية كتبة الأناجيل .

(٣٩) الاجوبة الفاخرة ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٤٠) راجع الدكتور / محمد عبد الستار نصار : العقيدة الإسلامية ، أصولها وتأويلاتها الجزء الأول الطبعة الأولى ، ص ٢٦٢ .

الجاحظ في كتابه : « الرد على النصارى » : « وسألتم عن قولهم : (أي عن قول بعض المسلمين) إذا كان الله تعالى قد اتخذ عبداً من عباده خليلا ، فهل يجوز أن يتخذ عبداً من عباده ولداً ؟ . . وقد رأيت من المتكلمين من يجيز ذلك ولا ينكره إذا كان ذلك على سبيل التبنى والتربية والابانة له بلطف المنزلة والاختصاص له بالرحمة والمحبة . . . . ويقول : ليس في القياس فرق بين اتخاذ الولد على سبيل التبنى والتربية وبين اتخاذ الخليل على سبيل الولاية والمحبة . . وكان يجوِّز دعوى أهل الكتاب على التوراة والأنجيل . . في قولهم : إن المسيح قال في إنجليه : إني ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهى وإلهكم . . واما نحن ـ رحمك الله ـ فلا نجيز أن يكون لله ولد ، لا من جهة الولادة ولا سن جهة التبنى . . لأنه لو جاز ان يكون أبا ليعقوب لجاز أن يكون جداً ليوسف ولو جاز أن يكون أباً وجداً . . لجاز أيضاً أن يكون عماً وخالاً [٤١].

وأول ما يلاحظه أصحاب هذا المنهج هو أن عقيدة المسيحيين غير متصورة عقلا ، يقول الجاحظ : « ولو اجتهدت بكل جهدك ، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف حد النصرانية ، وخاصة قولهم في الالهية . وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصرانى نسطورى فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولا ، ثم ان خلوت بأخيه لأمه وأبيه ، وهو نسطورى مثله ، وسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده ، وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية . ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان »[٤٢].

ويستعرض اتباع هذا المنهج آراء الفرق الشرقية الثلاث : النسطورية ، واليعقوبية والملكانية ، في عقيدة « الاتحاد » ثم يكرون عليها بالتفنيد واحداً بعد الآخر مبينين ما يؤدى إليه كل رأى منها من المحالات العقلية أو النقائص التي لا تليق بذات البارى سبحانه وتعالى ، فاتحاد اللاهوت بالناسوت ، أو اتحاد الاله ببدن عيسى عليه السلام يؤدى إلى اتحاد القديم

(٤١) ثلاث رسائل لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ الأولى في الرد على النصارى ، سعى في نشره : يوشع فنكل ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٢ هـ المطبعة السلفية ومكتبتها ، ص ١٨ ، ١٩ .

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٦ .

بالمحدث ، وهذا بدوره يؤدى أما إلى قدم المحدث أو حدوث القديم . وكلا الأمرين محال . كذلك فانه يؤدى إلى الحاق النقص بذات البارى ، إذ يكون الله تعالى ، بعد اتحاده ببدن عيسى ، قد أكل وشرب ولحقته جميع العوارض البشرية ، ثم حوكم ، ومات مصلوباً ، وكل هذا نقص لا يليق بذاته تعالى ، يقول الجاحظ : « فيقال لهم : هل يخلو لو المسيح أن يكون انساناً بلا إله ، أو إلها بلا إنسان ؟ . . فإن زعموا أنه كان إلها بلا إنسان قلنا لهم : فهو الذي كان صغيراً فشب والتحى ، والذي كان يأكل ويشرب وينجو ويتبول ، وقتل بزعمكم وصلب ، وولدته مريم وأرضعته أم غيره هو الذي كان يأكل ويشرب على ما وصفنا ؟ فأي شيء معنى الإنسان الا ما وصفنا وعددنا ؟ وكيف يكون إلها بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان ؟ وليس القول في غيره ممن صفته كصفته إلا كالقول فيه . وان زعموا أنه لم ينقلب عن الإنسانية ولم يتحول عن جوهر البشرية ولكن لما كان اللاهوت فيه صار خالقاً وسمى إلها ، قلنا لهم : خبرونا عن اللاهوت ، اكان فيه وفي غيره أم كان فيه دون غيره ؟ فإن زعموا أنه كان فيه وفي غيره فليس هو أولى بأن يكون خالقاً ويتسمى إلها من غيره ، وان كان فيه دون غيره فقد صار اللاهوت جسماً »(٤٣)

وفضلا عن ذلك فإن « الأقانيم » الثلاثة (الأب ، والأبن ، وروح القدس) ، التي يقول به المسيحيون غامضة ، غير محددة المعنى ، ولا تعرف دلالتها على وجه الدقة ، فهى تارة صفات ، وتارة ذوات ، أو صفات ذاتية ، والتردد في معنى مثل هذه الألفاظ يؤدى إلى اللبس ، واللبس والعبارات الغامضة الموهمة لا تقوم عليها عقيدة .

والحق أن المسيحيون مختلفون فيما بينهم في تحديد معنى كلمة « اقنوم » Hypostase ، وقد فسره علماؤهم بتفاسير تنم عن الاضطراب والحيرة وعدم الفهم ، حتى إن احد علمائهم قد ذكر لها أكثر من ثمانية معان ، فهو يقول : « إن من بين المعتنقين لآراء الفرق المسيحية من يذهب إلى أن الاقنوم معناه « الشخص » ويذهبون إلى القول بأن الأب والابن وروح القدس هى

(٤٣) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

أشخاص ثلاثة لكل شخص منهم طبيعته المنفصلة . ومنهم من يذهب إلى أن الأقانيم الثلاثة هى ثلاث « خواص » متحدة . ومنهم من يرى أنها « صفات » . وآخرون يرون أنها « صفات ايجابية » وفريق خامس يرى أنها « صفات ايجابية جوهرية » . Sudstantiel ويرى غيرهم أنها هى « العقل والعاقل والمعقول » ومنهم من يقول أنها « أحوال » Modalite´s[٤٤].

ذاك هو المنهج العقلي الذي نقد المسلمون بمقتضاه عقائد المسيحيين ، وهو ثالث المناهج التي اتبعوها معهم . ونلاحظ أن المجادلين الإسلاميين فيما قبل القرن السادس الهجري ، كان كل منهم يتبنى منهجاً من تلك المناهج يرى أنه الأصلح في هدم عقائد المسيحيين ، ولا يلجأ إلى استخدام منهج آخر إلا استطراداً وبطريق التبع ، فالذي كان ينقد المسيحية على أساس عقلي كان لا يلجأ إلى المنهج التفسيري أو منهج المحدثين والا فيما ندر ، وكذلك العكس ، لكن الأمر قد اختلف منذ بداية القرن السادس الهجري ، كما قلنا ، فكان المجادل يلجأ إلى استخدام المناهج الثلاثة معاً ، وذلك لعدة أسباب ، منها :

أولا :

أن أكثر كتابات المجادلين المسلمين ابتداء من هذا القرن كانت ردوداً على أسئلة أو اتهامات ، دأب المسيحيون على توجيهها إلى المسلمين وكان ما كتبه المجادلون المسيحيون قائماً على أسس متعددة ، منها ما هو عقلي ومنها ما هو نصي تفسيري ، فاضطر المسلمون في ردودهم إلى استخدام مناهج متعددة تناسب كل فقرة من فقرات اتهاماتهم .

ثانيا :

أن معرفة المسلمين لعقائد المسيحيين وكتبهم وفرقهم ، كانت تزداد عمقاً بمرور الوقت ، كما أن المجادلين المسلمين المتأخرين ، كانوا يستفيدون من كتابات المتقدمين منهم ، فأدى

---

(٤٤) محيى الدين الاصفهاني : رسالة أصدق الحديث في شرفي التوحيد والتثليث ، نشرها وترجمها إلى الفرنسية : M . Allard et G . Tropeau ، بيروت ، ١٩٦٤ .

ذلك إلى ازدياد قدرتهم على الصراع الفكري وتنويع أسلحته ومناهجه .

ثالثاً :

أن المجادلين المسيحيين كانوا يلجأون إلى المراوغة ، فكانوا إذا طوردوا على المستوى العقلي ، لجأوا إلى النصوص يحتمون بها ، وإذا هوجموا على مستوى النصوص لجأوا إلى العقل في تبرير عقائدهم ، لذلك اضطر المسلمون في نهاية الأمر إلى تبني هذه المناهج جميعها ، تضيقاً للخناق عليهم ، ومحاصرتهم ، بحيث لا يجدون ملجأ يلجأون إليه ، ولا يبقى أمامهم إلا التسليم بوجهة نظر المسلمين في عيسى عليه السلام ، والإيمان بنبوته عن طريق أخبار الصادق بها ، وهو « محمد » صلى الله عليه وسلم .

تقييم

بعد هذا العرض لمناهج المسلمين في نقد المسيحية نستطيع ان نساهم في تقييم مجهوداتهم في هذا الميدان ، حتى يمكن للدراسين المسلمين المعنيين بهذا الموضوع ان يتلافوا ما قد يكونون قد وقعوا فيه من خطأ ، ليتابعوا ما بداه اسلافهم في ثبات ويقين ، ويخطوا بهذا النوع من الدراسة خطوات اخرى إلى الامام .

وأول ما نلاحظه في هذا الصدد ان المجادلين المسلمين كان يعوزهم الرجوع إلى كثير من المصادر الأصلية للمسيحية ، وتلك لم تكن ميسرة لهم ، لجهلهم باللغات السريانية والعبرية واليونانية ، وهى اللغات التي كتبت بها الأناجيل وشروحها ، كما كتب بها تاريخ الكنيسة وفرقها والجدل الذي ثار بين رجالاتها ، لقد كانت النسخ المترجمة إلى اللغة العربية من العهدين القديم والجديد حتى القرن الخامس الهجري قليلة لقلة من كان يتحدث العربية من المسيحيين حتى ذلك الوقت خصوصاً في الأوساط الدينية والكنائسية ، فكان اعتماد المسلمين في معرفة كثير مما يتضمنه الكتاب المقدس على من أسلم من أهل الكتاب ، أو على رؤساء الديانتين الاسرائيلية والمسيحية الذين كانت تربطهم علاقة مودة ببعض المجادلين المسلمين ، وهؤلاء كثيراً ما كانوا يزودون المجادلين المسلمين بمعلومات غير محررة فيأخذونها على انها حقائق مؤكدة ثم يقيمون عليها حججاً تكون في الغالب واهية . وأكثر ما كان يحدث هذا في مجال الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في موضعين :

الأول :

ما كانوا ينقلونه عنهم من عبارات وكلمات عبرية من العهد القديم على انها هى المقابل للفظ محمد في تلك اللغة . ثم تحتجون بها على المسيحيين باعتبارهم مؤمنين بكتب العهد القديم ، مع انه لا وجود لتلك الالفاظ في تلك الكتب .

الثاني :

ما كانوا يعمدون إليه من رواية بعض النصوص من العهدين القديم والجديد بالمعنى أو من التوفيق بين بعض النصوص باسقاط كلمات منها لتصبح نصاً واحداً دالا على صفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصفة قومه وبلده ، في حين انه لو ذكر النص كما هو ، بدون زيادة أو نقصان ، لما نهض دليلا على مدعاهم .

فمما أورده ابن قيم الجوزية من نصوص على انها بشارات تتضمن اسم « محمد » صلى الله عليه وسلم ـ باللغة العبرية ، وهى ليست كذلك ، النص الآتي : « فصل الوجه الثالث والعشريون ، قوله في كتاب اشعيا أيضاً : « عبدي وخيرتي ورضا نفسي ، افيض عليه من روحي . أو قال : أنزل عليه من روحي ، فيظهر في الأمم عدلي ويوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته . يفتح عيون العمى العور ، ويسمع الاذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه لا اعطى غيره . لا يضعف ولا يغلب و يميل إلى اللهو ، ولا يسمع في الأسواق صوته ركن المتواضعين ، وهو نور الله الذي لا يطفى ، ولا يخصم حتى يثبت في الأرض حجتى ، وتنقطع به المعذرة » ، فمن وجد بهذا الوجه غير « محمد بن عبد الله » ـ صلوات الله وسلامه عليه .

وقد ترجموه أيضا بترجمة أخرى فيها بعض الزيادة « عبدي ورسولي الذي سرت به نفسي ، أنزل عليه وحيي فيظهر في الأمم عدلي ، ويوصيهم بالوصايا . لا يضحك ولا يسمع صوته فى الأسواق . يفتح العيون العور ، والاذان الصم ، ويحيي القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطي أحداً . يحمد الله حمداً جديداً ، يأتي به من أقطار الأرض ، ويفرح القرية وسكانها ، يهللون الله على كل شرف ويكبرونه على كل رابية ، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى الهوى . مشفح ، لا يذل الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة بل يقوى الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفى ، أثر سلطانه على كتفيه ، وهو مشفح « بالشين المعجمة والفاء المشددة ، بوزن مكرم ، وهى لفظة عبرانية مطابقة لاسم « محمد » معنى ولفظاً مقارباً ، كمطابقة موذ موذ ، بل أشد مطابقة . ولا يمكن للعرب ان يتلفظوا بها

بلفظ العبرانية فانها بين الحاء والهاء وفتحة الهاء بين الضمة والفتحة . ولا يستريب عالم من علمائهم منصف انها مطابقة لاسم « محمد » . قال أبو محمد بن قتيبة : مشفح محمد بغير شك . واعتباره انهم يقولون شفحالاها إذا أرادوا ان يقولوا الحمد لله . وإذا كان الشفح حمداً فمشفح محمد بغير شك . وقد قال لى ولغيري بعض من أسلم من علمائهم ان (مئذ) وهو بكسر الميم والهمزة وبعضهم بفتح الميم ويدنيها من الضمة ، قال : ولا يشك العلماء منهم بانه « محمد »[٤٥]

فالنص المذكور يبرز عدة أمور ، منها :

(١) : ان ابن قيم الجوزية ، ومن قبلة ابن قتيبة ، وهما من كبار المجادلين المسلمين لم يعتمدا على نص الكتاب المقدس ، بل على من أسلم من أهل الكتاب .

(٢) : ان بعض هؤلاء ذكر ترجمة ليس فيها ذكر لكلمتي « مشفح » و « مئذ مئذ » وهما اللفظان اللذان يدلان في رأى من أسلموا على اسم « محمد » وان البعض الآخر ذكر ترجمة اخرى فيها هذان اللفظان ، مما يجعلنا نرجح انهما لفظان ادرجهما هؤلاء البعض أرضاء للمسلمين . ومما يقوى هذا الترجيح اننا لا نجد في الترجمة العربية أو الفرنسية المعتمدة أثراً لهذين اللفظين ، وانه على فرض وجودهما فانهما لا يدلان معاً على اسم « محمد » صلى الله عليه وسلم ، بل قصارى ما يمكن فرضه ان يكون احدهما دالا على اسم محمد دون الآخر ، مما يرفع الثقة بالنقل ، ويدل على الادراج .

ومما كان يلجأ إليه المجادلون المسلمون في هذا المجال ، مجال البشارة « بمحمد - صلى الله عليه وسلم » في الكتب القديمة ، رواية نصوص التوراة والانجيل بالمعنى ، أو تلفيق نص واحد من جملة نصوص ، يسقطون منها ما لايتلاءم مع وجهة نظرهم ، في حين انهم لو كانوا قد ذكروا النص كما هو ، وبدون زيادة أو نقصان لما نهض دليلاً على مدعاهم وهو البشارة

---

(٤٥) هداية الحيارى ، ص ٤٠٥ وما بعدها .

برسول الإسلام . وعلى سبيل المثال فان البشارة التي ذكرها ابن قيم الجوزية ، والتي فرغنا للتو من ذكرها هى عبارة عن عدة فقرات متناثرة مأخودة من الاصحاحين الحادي والأربعين والثاني والأربعين من نبوة اشعيا . ولطول هذين الاصحاحين فاننا نورد بعض فقراتها التي اسقطها ابن قيم الجوزية ليتبين عدم انطباق البشارة على الرسول الكريم : « واما انت يا اسرائيل عبدي ، يا يعقوب الذي اخترته ، نسل ابراهيم خليلي الذي أمسكته من أطراف الأرض ومن أقطارها دعوته ، وقلت لك : انت عبدي ، اخترتك ولم أرفضك ، لا تخف لاني معك . لا تلتفت لاني الهك . قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برِّي . . قد أنهضته من الشمال فاتى . من مشرق الشمس يدعو باسمى . ياتى على الولاة كما على الملاط . وكخزاف يدوس الطين (٤٢) ها هوذا عبدي الذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي . . . . الرب كالجبار يخرج . كرجل حروب ينهض غيرته ويهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه . . . . أضرب الجبال والآكام وأخفف كل عشبها ، وأجعل الأنهار يبساً وانشف الأجام ، وأسيِّر العمى في طريق لم يعرفوها ، في مسالك لا يدروها امشيهم . . »[٤٦].

فالسياق ، كما هو واضح ، لا علاقة له بالبشارة بمحمد عليه السلام . انه يعزى الاسرائيليين من ضحايا الاسر البابلي ، ويمنيهم بقرب ظهور ملك اسرائيل المنتظر ليقود الشعب ويعود به إلى بيت المقدس . ان النص يصور هذا الملك « كالرب الجبار يخرج ، كرجل حروب ينهض غيرته » ، « ليخرج من الحبس المأسورين ومن بيت السجن الجالسين في الظلمة » ، اشارة إلى بابل ، ومقامهم فيها كانهم اسراء في سجن كبير .

ولعل من المفيد ان نذكر ان النقد الحديث يقرر ان نبوة اشعيا ليست كلها من كلامه ونبؤاته وان نصفها الثاني ، ابتداء من الاصحاح رقم ٤٠ ، وهو الذي أخذ منه المجادلون المسلمون معظم البشارات التي قالوا انها تنطبق على « محمد » صلى الله عليه وسلم وأمته . هو من كلام رجل آخر ، يمكن ان يكون من تلاميذ اشعيا عاش بعده بفترة طويلة . ويستند النقاد في

---

(٤٦) هداية الحيارى ، ص ٤٠٥ وما بعدها .

تقريرهم هذا إلى ان اشعيا كان يعيش في بيت المقدس قبل خرابها ، وبدا نبوته حوالى عام ٧٠٤ ق.م ، فتنبا بخراب بيت المقدس واليهودية عقاباً لشعب اسرائيل على زيفه وعدم أخلاصه . وكانت نبؤاته ذات شقين ، فهى من جهة تعلن توحيد الله الملك القدوس الجبار ، وان الإنسان كائن دنسته الرذيلة ، فهو بحاجة إلى اصلاح أمره ، باقامة العدالة في علاقاته الاجتماعية والاخلاص في العبادة .

وهى من جهة أخرى ، مليئة بالتشاؤم والوعيد ، وهو على أي حال لم يغادر فلسطين ، وقضى نحبه فيها بعد عام ٧٠٠ ق.م . واما القسم الثاني فهو نبؤات منسوبة إليه ولم ينطق بها ، إذ ان روحها يختلف اختلافاً تماما على القسم الأول ، فهى متفائلة ، تعزى شعب اسرائيل ، وتشيع الأمل بين اسرى بابل ، بقرب مجيء ملك منتظر يخلصهم من الأسر ، ويعيد لبيت القدس قدسيته وكرامته ، ولشعب اسرائيل مجده الضائع .

ومن الأخطاء التي وقع فيها المجادلون المسلمون نتيجة لنقلهم دون تثبت عن مؤرخى النصارى ما يجمعون عليه من ان أريوس ، وهو من رؤساء المسيحية في زمانه ومؤسس فرقة الاريوسية ، كان يعتقد ان المسيح عليه السلام عبد ورسول وليس باله .

قال ابن قيم الجوزية ، مستنداً إلى ابن البطريق : « وقالت الاريوسية منهم ، وهم اتباع اريوس ان المسيح عبد الله كسائر الانبياء والرسل ، وهو مربوب مخلوق مصنوع وكان النجاشي على هذا المذهب »[٤٧] والواقع ان اريوس لم يقل بذلك ، بل كان يقول : ان الابن ليس مساوياً للاله في الجوهرية ولا مساوقاً له في الوجود . اما التثليث عنده فهو يتكون من ثلاثة اقانيم ، هى ثلاثة جواهر متميزة ، منفصلة ، يختلف كل منها عن الآخر بطبيعته . وقد اقام اريوس مذهبه على نصوص الكتاب المقدس التي تقدم لنا الاب على انه الاله الأحد ، بينما لا تطلق على المسيح الا الاسم الرب او السيد Seigneur[٤٨]

(٤٧) هداية الحيارى ، ذيل الفارق ، ص ١٠٣ .

(٤٨) راجع : G . Weltre : Histoire des sectes ehre'tiennes , P . 48 – 50 .

تلك هى حقيقة مذهب اريوس ، وهى نظرية فلسفية في التثليث ، تختلف عما كان يقوله اباء الكنائس في زمنه في المسيح ، لكنها بعيدة كل البعد عن تصوير عيسى على انه عبد الله ورسوله ، كما يدعى ابن قيم الجوزية ، وقد تكون روح الجدل والرغبة في الانتصار على الخصم قد املتا عليه ان يصور مذهب اريوس بالصورة التي ذكرها ، والا فابن البطريق لم يقل ذلك ، بل قال في تصوير مذهب اريوس كلاماً قريباً مما ذكرنا ، نذكره نقلا عن ابن قيم الجوزية نفسه : « . . . . وكان في زمنه اريوس ، يقول ان الاب وحده هو الله الفرد الصمد ، والابن مخلوق مصنوع ، وكان الاب إذ لم يكن الابن »(٤٩) فالعجيب ان ابن قيم الجوزية يستشهد بكلام ابن البطريق على خلاف ما يقول به .

ونلاحظ ، فيما يتعلق بالمناهج التي اتبعها المجادلون المسلمون في نقدهم للمسيحية ، ان المنهج التفسيري هو اولاها بالقبول ، لان العبارات الموهمة لالوهية المسيح عليه السلام ، في الأناجيل الثلاثة الأل قليلة ، يمكن ، بل يجب تاويلها بدون مشقة ، استناداً على العبارات الكثيرة الاخرى المصرحة برسالته ، كما فعل الغزالي وقد تبنى النقاد المحدثون الاحرار هذا المنهج ، وخلصوا منه إلى القول بان الوهية عيسى عليه السلام هى من صنع رجال الكنيسة والمجامع المقدسة المتعاقبة ولا يمكن استنباطها من الأناجيل .

غير ان الغزالي قد وقع فيما يعتبره النقد الحديث خطأ وان لم يكن كذلك وقت تحريره له ، ذلك انه اعتبر الفقرات الثمانية عشر الأولى(٥٠) من انجيل يوحنا جزءاً من هذا الانجيل ، فذكرها على انها من أكبر ما يستند إليه المسيحيون في الهية السميح ، ثم فسرها بما يخرجها عن المعنى الذي أرادوه منها ، مستعيناً على ذلك بالترجمة القبطية لجملة « والكلمة صار جسداً » كما اسلفنا . والواقع ان تلك الفقرات ليست من الانجيل ، لانها لا تروى حياة السيد المسيح بل من كلام يوحنا يقرر بها رأيه في المسيح . ولما كانت تلك الفقرات ذات طابع غنوصى فقد ذهب

---

(٤٩) هداية الحيارى . ذيل الفارق ، ص ١٠٧ .

(٥٠) من قوله « في البدء كان الكلمة « إلى قوله » اما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » .

النقاد إلى انها جملة مدرجة ، الحقت بهذا الانجيل بعد مضى أكثر من قرن على رفع السيد المسيح وهو زمن انتشار الغنوصية في الأوساط المسيحية الناشئة انذاك ، بل لقد وضعوا علامة استفهام كبرى على الانجيل المسند إليه من أوله إلى آخره ، ولم يولوه من الاعتبار ما يولونه للأناجيل الثلاث الأخرى . . رغم ذلك فإن القاعدة الذي ذكرها الغزالي كأساس للمنهج التفسيري لا تزال هي القاعدة الأكثر اعتباراً في هذا الصدد ، لعدم امكان الاعتراض عليها .

أما المنهج العقلي فإن المسيحين يعترضون عليه باعتراض شقين :

الأول :

أن عقائد المسيحية الرئيسية ، كعقائد التثليث والتجسد والصلب والفداء والتحول تمثل « أسراراً » لا يعرفها إلا الرؤساء الدينيون المعصومون ، ولما لم يعترض عليها هؤلاء الرؤساء ، بل أقروها ، دل ذلك على صحتها ، وإن لم يمكن التدليل عليها ومن هنا جاءت العبارة المسيحية المشهورة : « آمن أولا ، ثم فكر بعد ذلك » .

الثاني :

أن الأديان جميعاً ، ومنها الإسلام بطبيعة الحال تشتمل على بعض العقائد غير المفهومة ، ويذكرون في هذا الصدد ما يفعله المسلمون في الحج من طواف وسعى وتقبيل للحجر الأسود ، وهى فروض إسلامية غير مفهومة . ومع أن الفارق بين ما يسمونه أسراراً في الدين الإسلامي وهى شعائر لا تمثل عقائد رئيسية وبين أسرار الدين المسيحي التي تشمل كل عقائده الأساسية ، فإن المغالطة التي يلجأون إليها والتي تتمثل في القياس على ما لا يمكن القياس عليه ، تضعف من قيمة الأدلة العقلية خصوصاً في نظر العامة والجهال من اتباع الديانات .

وأما منهج المحدثين فإن المسيحيين يردون عليه بأن صحة النص عندهم لا تضمنها قوة السند ، بل تضمنها الكنيسة المعصومة ، فما تقرر الكنيسة صحته فهو صحيح عندهم مهما بدا عدم صحته صارخاً ، وما تقرر عدم صحته فهو غير صحيح حتى وإن كانت صحته بادية

العيان ، وذلك اعتماداً على أنواع الوحى المتعددة عندهم .

فإذا كان الوحى عندنا نحن المسلمون نوعاً واحداً ، هو اعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بأمر من الأمور فإن الوحى عند المسيحيين ينقسم إلى ثلاثة أنواع :

(١) : الوحى ، وهو اتصال الله تعالى بالنبى عن طريق جبريل أو غيره كما حدث لموسى عليه السلام ، ولانبياء بنى اسرائيل .

(٢) : الالهام ، وهو العرفان الذي يجده الملهم في نفسه من معرفة مع تأكده انها من الله تعالى .

(٣) : المعونة ، وهى الضمان الذي يقدمه روح القدس للبابا ، وللمجمع المقدس عند اتخاذهم للقرارات الدينية بأنها توافق ارادة الأب ، وبانها صحيحة في حد ذاتها .

والالهام الذي يقولون به هو الذي يجده ، الملهم في نفسه . من معان . يختار هو طريقة التعبير عنها . وقد استفاد المجادلون المسيحيون من هذه التعدد في طرق الوحى ، ومن تفسيرهم لمعنى الالهام في الرد على المسلمين ، فقالوا : « ان الأناجيل قد كتبت بالهام من روح القدس ، هى متطابقة من حيث المعنى ، ولا يضرنا اختلاف ألفاظها في شيء ، لأنه لا عبرة في مجال الالهام باختلاف الألفاظ ، ما دامت المعاني صحيحة ، كذلك فإنه لا يضرنا ضعف سندها ، فقد أقرت المجامع المقدسة صحة نسبتها ، وقرارات المجامع معصومة من الخطأ . وهكذا يكون المسيحيون قد نقلوا النزاع حول صحة الأناجيل إلى النزاع حول الوحى وطرقه وحول عصمة البابا ومجامع الكنيسة . لكن المجادلين المسلمين لا يعترفون بغير مصدر واحد لمعرفة الغيب ، هو الوحى ، كما انهم لا يعترفون بسلطان الكنيسة الروحى ، ومن ثم بقى كل من الفريقين يعيد ويكرر اتهاماته وأدلته في حوار يسمى بحق : حوار الصم ، لأن الفريقين لا يتحدثـون لغة واحدة .

ان المستعرض لما كتبه المجادلون المسلمون في نقد عقائد المسيحيين يلاحظ أمرين :

الأول :

أنهم وضعوا أيديهم على العديد من نقاط الضعف في عقائد المسيحية والتي منها ، كما أسلفنا :

أ - عدم دلالة الأناجيل على إلهية عيسى عليه السلام .

ب - أن المسيحية من صنع بولس .

جـ - أن بعض عقائد المسيحية قد شرعتها المجامع المقدسة بعد رفع المسيح عليه السلام بفترة طويلة .

الثاني :

أنهم لم يستطيعوا أن يطوروا اتهاماتهم فيما يتعلق بدور بوليس وحقيقة أمره ، وبكيفية نشأة الكنيسة ، والمراحل المتعددة التي مرت بها حتى أصبح لها هذا السلطان الروحي الكامل على المسيحيين ، وهى أمور لابد منها لفضح زيف المسيحية الحالية . غير أن المسلمين فيما مضى لم تكن لديهم الوسائل اللازمة لذلك ، من معرفة بلغات أخرى ، غير العربية ، وباللغة اليونانية على الأخص ، إذ هى اللغة التي سجلت قيام فرقهم ، ودعوى كل فرقة ، والنزاع الذي اشتجر بين رؤساء الكنائس فيما يتعلق بالتثليث ، فلم يتمكنوا من متابعة صراعهم مع المجادلين المسيحيين .

وقد تولى الغرب ، ابتداء من عصر النهضة وحتى اليوم دراسة هذا التراث الديني المسيحي الحافل ، ونشره في كثير من اللغات الأوربية الحديثة ، فأصبح من المتيسر أكثر من ذى قبل الاطلاع عليه والاستفادة منه ، بل لقد قام العديد من العلماء الغربيين من أبناء المسيحية بنقد تلك المعتقدات المسيحية غير المفهومة أو المقبولة طبقاً لمناهج متعددة ، فتناولت ابحاثهم النقدية فيما تناولت : نقد الكتب المقدسة ، تاريخ الفرق المسيحية ، تاريخ المجامع المقدسة ، تاريخ الكنيسة ، الاصلاح الديني ، الاضطهاد الديني ومحاكم التفتيش . . . الخ . وقد آتت تلك الكتابات الجادة ثمرتها المرجوة ، فصرفت معظم المسيحيين عن ديانة الكنيسة ، فلم يعد لها إلا ذلك التأثير الاقتصادي والسياسي الجارف .

ان ترجمعة هذه الأعمال إلى اللغة العربية هو وحده الكفيل بتحطيم تلك المؤسسة الضالة على المستوى العقائدي في الشرق الإسلامي ، كما تحطمت في الغرب على المستوى نفسه ، وبدون ذلك سيظل المعنيون بالدراسات الدينية المقارنة يكررون ما قاله السلف . وما قاله السلف لم يعد يحتل إلا مكاناً ضئيلا من مكتبة مقارنة الأديان .

مراجع البحث

أولا : المصادر العربية :

(١) : القرآن الكريم .

(٢) : الكتاب المقدس (العهدين : القديم والجديد) .

(٣) : الأقوال القويمة في حكم القتل من الكتب القديمة ، للبقاعي ، مخطوط ، دار الكتب الأهلية - القاهرة .

(٤) : الاجوبة الفاخرة ، لشهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي المعروف بالقرافي ، مطبوع بهامش : الفارق بين المخلوق والخالق .

(٥) : اظهار الحق ، لرحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي ، عني بطبعه ونشره عبد الله بن ابراهيم الانصاري ، على نفقة ادارة أحياء التراث الإسلامي ، الدوحة ، قطر ، ١٩٨٣ م .

(٦) : الرد الجميل الالهية عيسى بصريح الانجيل ، لحجة الإسلام ابى حامد الغزالي ، طبعه ، وضبط نصه ، وشرحه مع ترجمة إلى الفرنسية : روبيرشيدياق اليسوعي ، باريس ، ١٩٣٩ م .

(٧) : رسالة أصدق الحديث في شرفي التوحيد والتثليث ، لمحيى الدين الاصفهاني نشرها مع ترجمة إلى اللغة الفرنسية : م . الارد ، ج تروبو ، بيروت ١٩٦٤ م .

(٨) : الرد على النصارى ، للقاسم ابن ابراهيم ، رسالة نشرها مع ترجمة إلى اللغة الايطالية ، دي . ماتييو ، روما ، ١٩٢٢ م .

(٩) : رسالة في الرد على النصارى ، للجاحظ ، تحقيق ونشر فنكل ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .

(١٠) : العقيدة الإسلامية ، اصولها وتأويلاتها ، الجزء الأول ، للدكتور / محمد عبد الستار نصار ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

(١١) : الفارق بين المخلوق والخالق ، لعبد الرحمن أفندي باجة زادة ، القاهرة ، ١٣١٨ هـ .

(١٢) : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، (٤ أجزاء في مجلدين) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، نسخة مصورة بالأوفست عن نسخة الخانجي ، ١٣٢١ هـ .

(١٣) : هداية الحيارى من اليهود والنصارى ، بهامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

- A . Renan : La vie de Je´sus : : 3' Edit , Paris , 1956 .

2 - G . Welter : Histavie des scctes chri'tiennes , des origine a` nos jours , Payot , Paus , 1950 .

قلما تجد بالعلم معجبا ، وبما أدركه منه مفتخرا ، إلا من كان فيه مقلا ومقصرا ، لأنه قد يجهل قدره ، ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره ، فأما من كان فيه متوجها ، ومنه مستكثرا ، فهو يعلم من بعد غايته ، والعجز عن إدراك نهايته ، ما يصده عن العجب به ، وقد قال الشعبي : العلم ثلاثة أشبار ، فمن نال منه شبرا شمخ بأنفه ، وظن أنه ناله ، ومن نال الشبر الثانى صغرت إليه نفسه ، وعلم أنه لم ينله ، وأما الشبر الثالث فهيهات ، لا يناله أحد أبدا .